

# سر العربية

ما هو السر الذى عجز عن فهمه خصوم اللغة العربية  
والذى عارض ما قرره علم اللغات ؟

## الاستاذ أنور الجندى

كرسى للغة العربية ، وقد تضاعفت هذه المراكز حتى بلغت عشرين مركزاً في سبع جامعات مختلفة ولا ريب أن مثل هذا قد حدث في فرنسا والمانيا وایطاليا والولايات المتحدة والهدف هو استكشاف الامة العربية عن طريق لغتها ولسانها رغبة في احتواها وحربيها ومن هذه المعاهد انطلقت الدعوات التي حملها رجال من الغرب أولاً ثم من العرب ثانياً داعية إلى العالمية وإلى كتابة الحروف العربية باللغة اللاتينية وهي دعوات بدأت منذ احتلال مصر وأحتلال الجزائر وعرف من رجالها كولون وولوكسن ووليمور وعشرات غيرهم ثم جاء بعد ذلك لطفي السيد وسلامة موسى ومارون غصن ولويس عوض وعشرات غيرهم .

ولم تتوقف هذه الحملات منذ بدات ، فهى تظهر في قطر من الاقطان ثم في قطر آخر ، ولكنها تتوارد دون توقف . وآخر هذه الحملات مشروع العربية الأساسية التي تقدمت به بعض الهيئات الأجنبية عام 1973 في مؤتمر برنابا ، ولا عجب في ذلك نان

ان ما تواجه به اللغة العربية في عالم الغرب لا يكشف عن تقدير حقيقي للغة العربية بقدر ما يكشف عن محاولة البحث وراء سر هذه اللغة الذي اعطى وما زال يعطي هذه الامة تلك القوة وذلك الثبات وهذه التدرة الفائقة على المقاومة ورد العدوان والوصول الى امتلاك الارادة .

ولقد تواترت اخبار كثيرة بعد معركة رمضان توحى بالاهتمام البالغ بالدراسات الاسلامية في مختلف جامعات الغرب والتركيز على اللغة العربية بالذات بوصفها لغة القرآن . لغة امة العرب ولغة الثناء والعقيدة لما يصل الان بدون مبالغة الى الف مليون من المسلمين .

والمعروف ان الاستشراق قد اولى اهتمامه باللغة العربية منذ وقت بعيد وانشا في الجامعات الاوربية كراسى لها ، خاصة في اكسفورد وكبردرج خلال القرن الخامس عشر الميلادي . امكن على اثرها ترجمة القرآن الى اللغة الانجليزية عام 1734 . ثم انشيء عام 1916 في مدرسة اللغات الشرقية

ثلاثين عاماً أن اللغة العربية مكانتها العظمى لأنها هي التي حملت رسالة السماء ( القرآن ) هذه الرسالة ( الاسلام ) التي أضاعت آفاق الكون برشدها ، وهم يردون الفضل الى الامة العربية التي رفعت راية التوحيد وفتحت مشارق الارض ومقاربها وحملت معها لفتها وثقافتها من حدود ( فرنسا الى ارض السندي ) مما أدى الى انكباب الناس على تعلم العربية وثقافتها ( وخاصة في الشعبين العظيمين : الغرب والترك مع مسلمي الهند ) ومن ثم تجلى أن اللغة العربية لغة لاتعرف الحدود الزمانية والمكانية لأنها حاملة لرسالة الاسلام ويقول الاستاذ ( جل سعيد شام بن تربت الله ) في بحث له : ان الباكستان دولة اسلامية غرسها العرب في أول رحلة لهم في نزع السندي ، وهذا هي الشجرة تعطى ثمارها وللغة العربية بوصتها لغة القرآن والحديث فان تعلمتها فريضة على كل مسلم ، وأول ما يبدأ به مسلمو باكستان هو تعلم ابنائهم القرآن الكريم ثم اللغة العربية كما يتعلم هؤلاء الأطفال اللغة العربية في الدارس العصرية هذا فضلا عن ان اللغة الاوردية تكتب بالحروف العربية ، كذلك اللغات الاتلنية فانها جميعاً تكتب بالحروف العربية واقتربها الى العربية : اللغة السنديه التي تحمل ستين في المائة من الفاظ اللغة العربية .

وفي اكثر من قطاع في افريقيا وآسيا تتردد الدعوة الى وجوب جعل اللغة العربية « لغة ثانية » في البلاد الاسلامية التي لا تتكلم العربية وان في العالم الاسلامي حسبما اوردته احصاء اخير اكبر من 250 مليوناً من المسلمين يكتبون الحروف العربية وان الحروف العربية قد انتشرت منذ جاء الاسلام وكانت بها لغات اسلامية كثيرة منها الفارسية والافغانية والكردية والمغولية والبربرية والسودانية والسامانية ولغة اهل الملايو واللغة التركية ( مثل عام 1926 ) وذلك عدا اكبر من مائة مليون عربي يكتبون بالخط العربي .

وهكذا نرى انه مع محاولات الغزو الفكري والتغريب للقضاء على اللغة العربية في بيئاتها او ايقاف نموها في البلاد التي يمتد اليها الاسلام فانها تحاول ان تكسر هذا القيد ، لتنستعيد مكانتها من

اللغة العربية هدف من اكبر اهداف التغريب والغزو الثنائى وأن المؤامرة على الفصحى مستمرة ومحاجة أساسا الى القرآن والاسلام .

ومنذ ان طوق الاستعمار العالم الاسلامى وسيطر عليه كان من اعظم خططه ايقاف اللغة العربية عن النمو ، غحيل بينها وبين ان تسایر الاسلام في حركة توسيعه وكان ذلك من اخطر التحدىات وأضخم المحاذير التي واجهت حركة الاسلام النامية التوينة المندفعة الى الامام في محاور متعددة ، الى تلب افريقيا ، والى جنوب شرق آسيا والى الغرب ، وما تزال تلك من اكبر التضايا الجديرة بالعناية والبحث لازالة العوائق التي تقف في طريق تکامل النمو الاسلامي ، دينا ولغة ذلك لأن هذا الدين ، كتابه القرآن ولغته العربية ، وان اي نمو له بغير اللغة مصاحبة له ومؤازرة . من شأنه ان يقلل من اثره ويختفي من خطوه . وقد شهد التاريخ كيف سيطرت اللسان الفرنسية والانجليزية على اجزاء كبيرة من الاتطار الاسلامية والعربية الاسيوية والافريقية التي احتلها الاستعمار الغربي كما سيطرت اللغة الهولندية على اجزاء كبيرة من جنوب شرق آسيا .

### هل تصبح العربية لغة العالم الاسلامى :

ولاريب انه كان لسيطرة اللغتين الغربيتين ، اثر كبير في ايقاف نمو اللغة العربية في بلادها غير ان انكسار الموجة الاستعمارية والفكرية في السنوات الاخيرة قد يجدد الامل في العودة الى الخط الطبيعي الجامع بين الاسلام واللغة العربية بحيث تصبح العربية الفصحى لغة المسلمين في كل مكان بعد لقفهم القومية لأنها لغة الفكر والثقافة والمعتقدة . ولأنها البناء الاولى في بناء الوحدة الاسلامية التي هي في أساسها وحدة فكر وعقيدة وثقافة .

وفي الباكستان تظهر منذ سنوات اشعة كثيرة لهذا العمل ، ويحمل رجالها الدعوة الى ان تصبح اللغة العربية لغة رئيسية في الثقافة الاسلامية الباكستانية التي تعتمد على اللغة الاوردية وقد قرر الباحثون الذين حملوا لواء هذه الفكرة منذ اكثر من

جديد ، بعد ان حجبتها الفرنسية والانجليزية سنوات طويلة .

### الفصل ماشهدت

ومن العوامل التي تدعو الى دعم الجهود وتركيزها في ابلاغ رسالة اللغة العربية الى العالمين نجد ان الذين استطاعوا ان يفهموها ويعرفوا قدرها من متصنيفي الغرب قد شهدوا لها شهادة حق .

تقول الدكتورة جاكين ماركس الاخصائية في علم اللغات ( سان باولو بالبرازيل ) بعد ان أمضت سنوات في دراسة لغات العالم ، ان العربية من بين العشر اللغات الاكثر انتشارا في العالم ، وانه لا يسبتها الا الصينية ( 605 مليون ) والانجليزية ( 233 مليون ) علما بأن اغلب هؤلاء ليسوا انجليزا وان فيهم هنودا وامريكان .

ويشير الاستاذ ( بيريوجرو ) كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمدينة نيس في بحث ضاف له عن اللغة العربية انها : اثرت ثائرا ضخما وعميقا في اللغات الفرنسية والاطالية والاسبانية وان عشرات من الكلمات الفرنسية ذات أصل عربي منها الكحول والأكسيز وأن العرب قد كشفوا للعالم بصفتهم مجريزين في ميدان الكياء والصيدلة عدة مواد ومحاولات مثل ( الكافور ) و ( القطران الملافق ) وان عشرات من الكلمات العربية دخلت الى اوروبا عن طريق التجار العرب الذين كانوا يقصدون بلاد ايطاليا وخاصة البنديقية وتستعمل هذه الانفاظ اليوم في البحرينة والموازين والميدان العسكري كدار الصناعة والتي تحولت الى ( ارسنال ) وكتجم النطير والزنبريت ( السمت ) وكلمة الصفر والكارا والقطنطار وكلمات الزعفران والخروب والسبانخ والغزال والبيغاء .

ويقول : وقد بدا يقل مفعول الادب العربي على الغرب ابتداء من القرن الرابع عشر ، واقتصر توسيع القاموس الفرنسي عبر اسبانيا واطاليا طوال الفترة من القرن الخامس عشر الى الثامن عشر بعده كلمات ومفردات اثرت في العلم الحديث واللغات الحديثة . ويؤكد المستشرق ( ازنة امبروس ) ان الثقة

الإنسانية تعتمد على لغتين محسب ، هما العربية واللاتينية ويقول : ان اللغة العربية بقيت عزيزة الجانب لم تتأثر بغيرها من اللغات بل على العكس كان لها تأثيرها الواضح على غيرها من لغات الارض جيما ، وانه لا يمكن لهم المصنفات الأدبية الفارسية او التركية بدون العودة الى الكلمات العربية وذلك ان وحي القرآن الكريم الذي لا يجارى يعد بلا ريب أساس عقيدة الإنسانية والثقافة البشرية .

ويقول وليم ردل : ان اللغة العربية لم تنتهر قط فيما مضى امام لغة من اللغات التي احتكت بها وذلك ان لها لينا ومرنة تمكناها من التكيف وفقا لمقتضيات العصر ، ولقد كان للغة العربية في لغات الامم المسلمة اثر طبيعي ، ذلك انه بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه اى لغة من لغات الدنيا ، وال المسلمين جيما مؤمنون بأن العربية وحدها هي اللسان الذي احل لهم ان يستعملوه في صلاتهم وبهذا اكتسبت اللغة العربية من زمن طويل مكانة رفيعة فاقت جميع اللغات الأخرى التي تنطق بها شعوب اسلامية .

### السر الذي خفى على الشعوبين :

من هذا كله نعرف «سر» الحملة على اللغة العربية والتآمر عليها فهي لغة القرآن والاسلام واللغة التي لم تنتهر منذ جاء الاسلام ولم تفت حيويتها او نفوذها ، وقد قبرت عشرات اللغات وما تزال هي حية .

ولقد يظن خصومها من رجال الاستشراق والتبيير والتغريب انهم يستطيعون ان يقارنوها باللغة اللاتينية ويدعون الى ارتقاء الممجات العربية لتصبح لغات تقرر بعدها العربية كما قبرت اللاتينية عندما ظهرت اللغات الغربية الحديثة : الفرنسية والاطالية والانجليزية ، ولكنهم واهمون وقاصرن عن فهم ابعاد اللغة العربية ومكانتها ، ولذلك فان قوانين علم اللغات التي انتزعوها من اللغات الاوروبية تعجز عن ان تستوعب لغة القرآن ، ذلك ان اللغة العربية ليست لغة امة محسب ولكنها الى ذلك لغة دين وعقيدة وفكرة يستوعب اكثر من ألف مليون من المسلمين ويمتد

الثالثون : هذه اللغة ملنا ونحن أصحابها ولنا حق التصرف فيها ، وذلك قول باطل وغير صحيح ومردود، يرده واقع التاريخ ومنطق البحث العلمي ، وربما كان صحيحاً بالنسبة للغات الاوربية أما بالنسبة للغة العربية فان الامر قد مختلف ذلك ان اللغة العربية منذ ان نزل بها القرآن أعطاها ابعاد متراوحة وواعتها خاصاً تميزاً وسيظل الترابط بين المسلمين ولغة الفساد الفصحي : لغة القرآن قائمها ، محظماً كل توانين علم اللغات التي تعجز عن ان تفسر العربية .

وما تزال حلقات جديدة من المؤامرة على اللغة العربية تظهر هنا وهناك بين حين وآخر علينا ان تكون واعين لمصدرها ، كاشفين لزيفها .

اربع عشر قرنا وما من لغة بلغت ذلك طولاً وعرضًا . ولقد حاول التغريب أن يصطمع طائفة من الشعوبين والمستغربين ليحملوا لواء هذه الدعوة وحاولوا ما استطاعوا ثم فشلوا وعجزوا ، وعادوا هم يكتبون باللغة العربية الفصحي ومن هؤلاء سلامة موسى ولويس عوض أعدى أعداء اللغة العربية ، ذلك لأنهم وغيرهم إنما اندفعوا بأهواء الدين والعنصرية والاحتد الأعمى ، ولو كانوا درسوا أبعاد تضية اللغة العربية وصلتها بالقرآن الكريم الذي حملها من دخول المتحف ما عاشت والى ان يرث الله الأرض ومن عليها لقسوها في باطلهم ، ولتوتفوا عن غيهم ، ومن هنا فقد خبئت تلك العبارات التي يرددوها